@ 227 @ الدين فغلبت وقتلت ؛ وفرقة قعدت في المدن يدعون إلى الدين ويبينونه ولم تقاتل ، فأخذها الملوك ينشرونهم بالمناشير فقتلوا ، وفرقة خرجت إلى الفيافي ، وبنت الصوامع والديارات ، وطلبت أن تسلم على أن تعتزل فتركت . والرهبانية : الفعلة المنسوبة إلى الرهبان ، وهو الخائف بني فعلان من رهب ، كالخشيان من خشي . وقرىء : ورهبانية بالضم . قال الزمخشري : كأنها نسبة إلى الرهبان ، وهو جمع راهب ، كراكب وركبان . انتهى . والأولى أن يكون منسوباً إلى رهبان وغير بضم الراء ، لأن النسب باب تغيير . ولو كان منسوباً إلى رهبان الجمع لرد إلى مفرده ، فكان يقال : راهبية ، إلا إن كان قد صار كالعلم ، فإنه ينسب إليه على لفظه كالأنصار . والظاهر أن { إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوانِ } ا استثناء متصل من ما هو مفعول من أجله ، وصار المعنى : أنه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته ، وهذا قول مجاهد ، ويكون كتب بمعنى قضى . وقال قتادة وجماعة : المعنى : لم يفرضها عليهم ، ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان ا تعالى ، فالاستثناء على هذا منقطع ، أي لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان ا تعالى . والظاهر أن الضمير في { رَعَوْهَا } عائد على ما عاد عليه في { ابتَدَعُوهَا } ، وهو ضمير { الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ } ، أي لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره ، لأنه عهد مع ا لا يحل نكثه . وقال نحوه ابن زيد ، قال : لم يدوموا على ذلك ، ولا وفوه حقه ، بل غيروا وبدلوا ، وعلى تقدير أن فيهم من رعى يكون المعنى : فما رعوها بأجمعهم . وقال ابن عباس وغيره : الضمير للملوك الذين حاربوهم وأجلوهم . وقال الضحاك وغيره : الضمير للأخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين لها . { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى } : وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام . { وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } : وهم الذين لم يرعوها . .

{ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ } : الظاهر أنه نداء لمن آمن من أمة محمد صلى ا عليه وسلم) ، فمعنى آمنوا : دوموا واثبتوا ، وهكذا المعنى في كل أمر يكون المأمور ملتبساً بما أمر به . { يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ } ، قال أبو موسى الأشعري : كفلين : ضعفين بلسان الحبشة . انتهى ، والمعنى : أنه يؤتكم مثل ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله : { أُوْلَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ } ، إذ أنتم مثلهم في الإيمانين ، لا تفرقوا بين أحد من رسله . وروي أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين ، وادعوا الفضل عليهم ، فنزلت . وقيل : النداء متوجه لمن آمن من أهل الكتاب ، فالمعنى : يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ، آمنوا

بمحمد صلى ا عليه وسلم) ، يؤتكم ا كفلين ، أي نصيبين من رحمته ، وذلك لإيمانكم بمحمد صلى ا عليه وسلم) ، وإيمانكم بمن قبله من الرسل . { وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ } : وهو النور المذكور في قوله : { يَسْعَى نُورُهُم } ، ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصي . ويؤيد هذا المعنى ما ثبت في الصحيح : (ثلاثة يؤتهم ا أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي) ، الحديث . .

ليعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ، لأنهم لم يؤمنوا برسول ا صلى ا عليه وسلم) ، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ، ولم يكسبهم فضلاً قط . وإذا كان النداء لمؤمني هذه الأمة والأمر لهم ، فروي أنه لما نزل هذا الوعد لهم حسدهم أهل الكتاب ، وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها ، وتزعم أنهم أحباء ا وأهل رضوانه ، فنزلت هذه الآية معلمة أن ا تعالى فعل ذلك وأعلم به . ليعلم أهل الكتاب أنهم ليسوا كما يزعمون . وقرأ الجمهور : { لِّئَلاَّ يَعْلَمَ } ، ولا زائدة كهي في قوله : { مَا مَنَعَكَ أَن * لاَ تَسْجُدُواْ } ، وفي قوله : { أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } في بعض التأويلات . وقرأ خطاب بن عبد ا : لأن لا يعلم ؛ وعبد ا وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد ا بن سلمة : على اختلاف ليعلم ؛ والجحدري : لينيعلم ، أصله لأن يعلم ، قلب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وأدغم النون في الياء بغير غنة ، كقراءة خلف أن يضرب بغير غنة . وري ابن مجاهد عن الحسن : ليلاً مثل ليلى اسم المرأة ، يعلم برفع الميم أصله لأن لا بفتح لام الجر وهي لغة ، فحذفت الهمزة ، اعتباطاً ، وأدغمت النون في اللام ، فاجتمعت الأمثال وثقل النطق بها ، فأبدلوا من الساكنة ياء فصار